(التعالق بين العلوم
عند عبد القاهر الجرجاني)

بقلم الدكتورة

وفاء شريف زكي سليمان

قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية العلوم والآداب بالبكيرية
جامعة القصيم ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الرابع (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعالق بين العلوم عند عبد القاهر الجرجاني)

وفاء شريف زكي سليمان

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية العلوم والآداب بالبكيرية - جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : salemaalrahmany@yahoo.com

الملخص

الحمد لله الملك القدوس ،خالق الأرواح والنفوس، حمداً كثيراً ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد؛

فغاية الدراسة و ما تهدف إليه: هي تبيان التعالق و المقاربة بين ثلاثةٍ من العلوم الإنسانية ،هي: علم النفس(السيكولوجي) وعلم البلاغة والنقد العربي القديم، وقد خَصَّصتْ الدراسة مجالها في تناول واحد من أهم علماء البلاغة العربية؛ هو: عبد القاهر الجرجاني، واهتمت بتطبيق المقاربة على كتابيه : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، كما اهتمت الدراسة بالأفكار التي عرضها عبد القاهر الجرجاني عند شرحه للقواعد البلاغية وتفسير الشواهد الشعرية عليها. والحقيقة أن الجرجاني تنبه لكثير من الأفكار التي يهتم بها علم النفس الحديث؛ مثل عملية الإدراك وأهمية العقل في توجيه الشاهد البلاغي، وفعل الحواس وأثرها في عملية الإدراك والمعرفة، كما ذكر أهمية التفصيل والإجمال، والتوجه العام وميل النفس، وغيرها من موضوعات تكشف عنها الدراسة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإنسانية، علم النفس البلاغي، العقل والإدراك.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

The interrelationship between sciences according (to Abd al-Qaher al-Jurjani)

Wafaa shiref zaky soluman
Department of Arabic Language and Literature, College of Sciences and Arts, Al-Bukairiya, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: salemaalrahmany@yahoo.com

Abstract

This study aims to approach three of the humanities are: psychology, rhetoric old Arab criticism, and dedicated study space in dealing with one of the most important scholars of rhetoric Arabic is: Abdul Qaher jerjani and focused on the application of the approach to my book Abdul Qaher jerjani book: Secrets of Rhetoric and book Miracles signs

focused on the ideas presented by Abdul-Qaher Al-Jurjani when he explained the rhetorical rules and interpreted the poetic evidence on them. Detail, summary, general orientation, self inclination, and other topics that the study will reveal shortly.

Keywords : Humanities- Rhetorical Psychological-Mind and Perception .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدوافع للبحث:

يعد الموضوع مجال الدراسة من الموضوعات الحديثة نسبياً؛ لأنه يوضح العلاقة بين ثلاثة من العلوم الإنسانية، ليكشف ما بينها من روابط ووشائج، وهذه العلوم شديدة الصلة بالأدب العربي؛ لأنها تخدمه وتفسره، فمنبع جميع هذه العلوم هو النفس البشرية بكل مكوناتها وانفعالاتها وأحاسيسها ومشاعرها وإبداعاتها الأدبية، وعند دراسة علم النفس والرجوع لمصادره : وجدت كثيرا من الموضوعات النفسية والمدارس الفكرية المتنوعة، وكثرة المصطلحات وتنوع المفاهيم وتعدد المناحى النفسية والعصبية، ولكني توصلت في النهاية لربط موضوعاته بما أنا بصدده من دراسة ، أما موضوع الدراسة فهو جديد في مجاله؛ فلم يتيسر لي الوقوف على دراسة اهتمت بربط العلوم الثلاثة، وتخصيصها علي كتابي عبد القاهر الجرجاني.

أهمية البحث:

- ربط البلاغة العربية بعلم النفس إثراء لها وتطويراً
- محاولة الكشف عن الجوانب المضيئة للتراث العربي القديم
- كشف الجوانب النفسية التي اعتمد عليها عبد القاهر الجرجاني عند تدوينه لعلم البلاغة
- إثراء المكتبة البلاغية بالجديد المفيد من الأفكار والمعارف

المنهج:

تتبع الدراسة في عرضها للموضوعات؛ فتبدأ بالموضوعات النفسية عند عبد القاهر والاستشهادات عليها، من خلال كتاب أسرار البلاغة وكتاب دلائل الإعجاز، ثم ربطها بما يتناسب معها من موضوعات علم النفس الحديث (السيكولوجي).

خطة البحث: بمشيئة الله تعالى ستكون الدراسة على النحو التالي:

- **المقدمة**

- **التمهيد**،

- **المبحث الأول**: سمات المقاربة السيكولوجية للنقد والبلاغة عند عبد القاهر وفيه :

١- الإدراك العقلي والفهم والاستيعاب

٢- الاتجاه النفسي العام (الذوق المشترك بين الناس)

٣- البديهيات وسلامة القواعد اللغوية

٤- أثر الحواس في عملية الإدراك

٥- الأنا المثالي والضمير والإدراك المعرفي (التوهم عند عبد القاهر)

٦- الإقناع بالحوار والبراهين العقلية

٧- التأثير الوجداني للنفس (العرض المشوق للموضوعات)

٨- الشرح بالإجمال والتفصيل للقاعدة البلاغية

التمهيد

بلغت الحضارة العربية مبلغاً عظيماً في القرن الخامس الهجري، وظهر ذلك جلياً من خلال المؤلفات الرصينة والتراثية الرائعة التي نهضت بالفنون والثقافة والآداب، ويعد عبد القاهر الجرجاني؛ مؤلف كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، من أشهر أعلام هذا القرن ،و لم يكن عبد القاهر قطباً وعلماً من أعلام النحو فحسب، بل تخطاه لأن يكون علماً من أعلام البلاغة والنقد؛ فتميز عن معاصريه بشكل كبير، وكان لهذا أثره في ذيوع شهرته وتأثيره فيمن تبعه من علماءَ في البلاغة العربية؛ أمثال (الزمخشري والسكاكي والخطيب القزويني... وغيرهم)، حتى إنك لا تطالع كتاباً عن البلاغة إلا وذكره يمتع ناظريك بأقواله أو النقول المختلفة من مؤلفاته الرائعة، التي تتميز بوفرة الشروح وتبسيط القواعد، والربط بين اللفظ ومعناه المكتسب من النظم والسياق، ولا يكتفي بالاستشهاد بالجيد من الأشعار، بل يمتد استشهاده بالاستشهاد بالرديء من الأبيات وتبيان الخلل والفساد الذي أصابها، ومن ثَمَّ الحكم عليها بالرداءة، ويأخذك العجب كل العجب من عرض الإمام عبد القاهر للموضوع وربطه بسمات النفس؛ تلك السمات التي تعد سماتٍ عامةً مشتركةً يتفق عليها أكثر البشر، من ناحية التفضيل أو من ناحية الرفض.

ولا أشك أن عبد القاهر اطلع على كتب الحضارات القديمة التي تم ترجمتها في القرن الثالث والرابع والخامس، وهي الكتب التي نقلت الحضارات القديمة؛ مثل الحضارة الإغريقية والحضارة الفارسية والحضارة الهندية، لتُدمج وتنصهر في ثنايا الحضارة العربية، دمجاً يُثريها ويزيد من نمائها، ومن العجيب أن العرب عرفوا الروابط التي تربط العلوم الإنسانية

بعضها ببعض منذ القِدم؛ فعلم الاجتماع وعلم النفس والجغرافيا والتاريخ والأدب والنقد والبلاغة... وغيرها من علوم تترابط بنسق واحدٍ من الروابط، هذه الروابط تنصب في بوتقة واحدة ،تخدم المسير الحضاري والثقافي للإنسان في مختلف الأماكن وفي مختلف الأزمنة.

الباب الأول: روابط علم النفس والبلاغة

وإذا كان المؤلف يمثل أحد أفراد الجنس الإنساني فهو يعد بصدق أحد النماذج النفسية التي يمكن تمييز بعض خصائصها، وذلك لما تتمتع به نفسية الأديب بمميزات تفوق نفوس البشر العاديين؛ لأنها النفس التي استطاعت البوح وتدوين حالاتها وأحاسيسها وما مر بها من فرح أو حزن أو غضب أو ثورة أو هدوء أو يأس أو تفاؤل: "إن النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس، النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس، والنفس تتلقى الحياة لتصنع الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة، إنها دائرة لا يفترق طرفاها إلا لكي يلتقيا"(١).

فيلتقي علم النفس مع النقد والبلاغة في أن مجال الاهتمام هو: النص أو (الأثر الأدبي)، وهو موضع الدراسة؛ فينظر علم النفس للنص على أنه "انعكاس ومآل وأثر للمؤلف، كأننا نقول عنه: إنه طلل، فضلة، بقية، مولود من خيبة"(٢).

---

(١) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، مصر، ط٤ بدون تاريخ، ص٥.

(٢) التحليل النفسي والأدب، تأليف: جان بيلمان نويل، ترجمة حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط١-١٩٩٧م، ص٩٥.

فالناتج الأدبي والذي يمثله النص ما هو إلا أفكار استخرجها الأديب من داخله في صورة نص مكتوب؛ "فالدراسة النفسية إذن –التي تنظر إلى العمل الأدبي متمثلا خلال العملية العقلية؛ سواء لدى القارئ أو المستمع، وسواء لدى المتحدث أو المؤلف– تثير من المشكلات أكثر مما تساعد على حل المشكلات الأساسية"(١).

ونلاحظ أن مجال علم النفس يتفق مع مجال النقد والبلاغة، إلا أن نوعية الدراسة تختلف باختلاف النظرة التي ينظر بها كل علم من هذه العلوم الإنسانية لأفعال النفس، ومن ثم تختلف الأدوات والإجراءات التي يستخدمها كل منهم بغرض الوصول للهدف الأساس، وهو فهم النفس وفهم الحياة من خلالها، و: "من الأشياء الغريبة التي لا يمكن تعليلها، كما يقول (روباك)، أن علم النفس والأدب يتناولان موضوعات واحدة، أعني الخيال والأفكار والعواطف والمشاعر وما أشبه، وبرغم ذلك لم يظفر علم النفس الأدبي إلا بقدر ضئيل من الدراسة إلي عهد قريب جدا"(٢).

ولعل السبب في قلة الدراسات لعلم النفس الأدبي هو ما يسود العالم من فكرة التخصص بين العلوم، والتمييز بين الآداب، وفصل كل نمط منها عن غيره. وإذا كانت الفنون والآداب وُجدتْ لتؤثر في الناس ولكي تطهرهم وتزكيهم، وتحول سلوكياتهم نحو الأفضل، فالحاجة تدعو اليوم للمزج بين العلوم المختلفة، خدمة للثقافة وحماية للمجتمع البشري. ولعل فكرة التطهير

---

(١) الأدب وفنونه دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م، دار الفكر العربي، مصر، ط٩، ص١١.

(٢) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، مصر، ط٤، بدون تاريخ، ص١٢.

فكرة أصيلة ومتمكنة من الفنون والآداب الإغريقية واليونانية، ولقد توصل الفلاسفة اليونان لفكرة التطهير من عصور قديمة تقدر بعصور ما قبل الميلاد على يد أرسطوطاليس (أرسطو) وغيره من الفلاسفة.

ولأرسطو كتاب مستقل عن ماهية النفس وفكرة القدماء عنها، وهذا الكتاب بعنوان (النفس)، وتعريف النفس كما عرض لها أرسطو في كتابه بعد جمع آراء القدماء من قبله، وما أجمعوا عليه من صفات هذه النفس البشرية؛ يقول أرسطو: "ولنبدأ في فحصنا هذا بعرض ما أجمعوا عليه من الصفات التي يبدو أنها تخص النفس في الأغلب، من حيث طبيعتها. وقد يبدو أن المتنفس يختلف عن غير المتنفس بصفتين أساسيتين: الحركة والإحساس، وهاتان الصفتان هما على وجه التقريب ما نقل إلينا عن القدماء فيما يختص بالنفس"(١)، ولعل القدماء أخذوا هذه الفكرة عن النفس الحية من أنها تمثل: الحركة والإحساس من مظاهر الموت؛ فموت النفس يعني عدم الحركة، [ومنه العطب والتحلل والفناء]، ويعني عدم الإحساس [وهو ما يبدو من فقدان الميت للنطق والتذوق والرؤية وما يرتبط بالحواس، وأيضاً فقده للاستجابة والتأثر]. والعجيب أن الفلاسفة تحدثوا عن النفس وتكلموا عن الفن ومدى صلته بها، والأعجب تأخر الدراسات الحديثة عن هذا الربط القوي بين النفس، (نفس المؤلف)، التي تمثل المُنشأ والسبب الأساس في كتابة الأدب، أو كذلك السبب في تواجد الفنون المختلفة؛ مثل فن التصوير وفن التمثيل وفن النحت وغيرها.

---

(١) كتاب النفس لأرسطوطاليس، نقله إلى العربية د. أحمد فؤاد الأهواني، راجعه على اليونانية الأب جورج شحاته قنواتي، دار إحياء الكتب، مطبعة البابي الحلبي وشركاه، ط١-١٩٤٩م، ص٩.

وبالرغم من اهتمام ممثلو الاتجاه النفسي؛ مثل فرويد و يونج و أدلر وشارل مورون وغيرهم بالأثر النفسي الداخلي والخارجي على الأدب، لم تلقَ هذه المدرسة رواجاً في الثقافة العربية، اللهم إلا من بعض الكُتّاب الذين تناولوا النقد من وجهة نفسية، كما فعل عز الدين إسماعيل في كتابه التفسير النفسي للأدب، وكما فعل محمد النويهي في تناوله لشخصية بشار بن برد، وكتابات العقاد عن أبي نواس ونرجسيته وعن ابن الرومي وتشاؤمه، ولعل تراجع المنهج النفسي في تناوله للأدب والنقد العربي، ما نعزوه لارتباط الناحية السيكولوجية بالعُصاب النفسي والأمراض النفسية، وهي التي تحتاج لتخصص بعينه، ودراسة تميل إلى مجال الطب النفسي منها إلى المجال الأدبي. والجيد في الأمر أن الدراسات النفسية توسعت حديثاً؛ فظهرت مجالات أخرى تعتمد على علم النفس الإكلينيكي[١] وعلم النفس العقلي والإدراكي، واشتهرت في هذا النطاق مدرسة الجشطلت [٢] Gestalt أو (المنهج الجشتالي). ولمدرسة الجشطلت فضل في دراسة الإدراك والتفكير، وأيضاً الذكاء ومقاييسه واختباراته، وأثر الحواس وما

(١) برجاء مطالعة كتاب (مناهج البحث في علم النفس الإكلينيكي والإرشادي)، تأليف: كريس باركر، ونانسي بيسترانج، وروبرت إليوت، ترجمة د. محمد نجيب الصبوة، ود. ميرفت أحمد شوقي، ود. عائشة السيد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١-١٩٩٩م.

(٢) مدرسة الجشطلت: "ظهرت نظرية الجشطلت في بداية القرن العشرين في ألمانيا... في تلك الفترة كان قد تمخض عنها علم النفس المتجه منذ نصف قرن إلي التحليل، كان الشعور عاما في كل مكان بالحاجة إلي مبادئ جديدة، فاتضاح قصور علم نفس العناصر قد أدى إلي المطالبة بعلم نفس الوحدات الكلية، علم نفس البنيات وعلم نفس الصيغ"؛ انظر كتاب (علم نفس الجشطلت)، ص١٢ بتصرف واختصار. والجشطلت معناها الصيغة أو البينة أو الشكل الكلي.

تؤديه في عملية الإدراك والاستجابة، وكذلك تطورت المدارس النفسية؛ فأصبحت تحدد الأطر السائدة، ومن ثم دراسة المظاهر العامة والمشتركات الفطرية بين النفوس البشرية، وغيرها من موضوعات تهتم بها هذه المدرسة.

وإذا أردنا تصنيف المنهج السيكولوجي في الثقافة العربية التراثية، يمكن تضمينه ضمن سيكولوجية الإدراكي العقلي ، ولهذا تربط هذه الدراسة بين ملامح المنهج الإدراكي في القرن الخامس الهجري، وتنصبُّ الدراسة على قُطبٍ من أقطاب اللغة العربية وعلم من أعلامها البارزين: (عبد القاهر الجرجاني)، والهدف منها تأطير الملامح النفسية في نقد عبد القاهر للشعر، ومنهجه النفسي في شرح القواعد البلاغية، في كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز). وفي البداية، ولمعرفة الوشائج والصلات بين علم النفس والنقد العربي، لابد أن نقرر في البداية أن النقد العربي يتصل بعلم النفس اتصالا وثيقاً؛ فكلاهما يندرج تحت مسمى العلوم الإنسانية. ولأن النقد هو المجال التطبيقي لما يُحدثه الفن و الأدب من تأثير، والفنون والآداب هي نمط من أنماط التعبير عن النفس والتصريح بما تكنه الذات من مشاعر وأفكار وأحاسيس، ومن ثم تتكامل العلوم الإنسانية وتتناسق في انسجام تام، وبها نستطيع دراسة النفس الإنسانية، ومعرفة دوافعها وأمراضها، وما يتحكم فيها من ظواهر عامة أو خاصة، أو ما يسميه علماء النفس بالدوافع والمحفزات أو المكبوتات والكوامن، وما الأسباب التي تساعد المؤلف وتدفعه نحو جنس أدبي بعينه، أو نحو فن من الفنون، وهل بإمكان علم النفس الحديث أن يكشف كثيراً عن غوامض التجربة الأدبية، ويغوص في أغوارها، ويظهر المكنون بداخلها، وهل علم النفس قاصر على الجانب

النظري، أم تخطاه إلي الجانب التجريبي والمختبري، وما مدى مصداقية الاختبارات القياسية على فئة محددة من الأدباء، وهل يمكن من خلال هذه الاختبارات والأسئلة المطروحة أن نجدول المعلومات، ونحدد الأطر العامة للنفس البشرية. كما يمكننا بهذا التكامل إدراك الفروق الدقيقة بين الانطباعات والميول، والاستجابات، وكميتها ومقدارها. وأخيراً؛ هل للسيكولوجيا مردود على الدرس النقدي والبلاغي؟ الإجابة عن تلك الأسئلة بالإيجاب، بل أكثر من ذلك؛ فإن دراسة التأثير النفسي على الأدب نظرية ليست بالحديثة، وإنما أدرك العلماء العرب أهمية الجانب النفسي ودوره في توجه النص الأدبي، وهو الذي يحدد مدى قبول النفس له أو نفورها منه.

لهذا اعتمد النقاد العرب القدامى على الجانب العقلي والإدراكي لعلم النفس، وألمحوا إلى الجانب المستور منها، أو ما يسمى حديثاً (باللاشعور أو اللاوعي أو الخافية)، وتعليل ذلك أن النقاد القدامى كانوا يميلون إلى الدقة والتحري، والاعتماد على أدلة حقيقية ملموسة في شروحهم وتدوينهم للعلوم.

وقد دعت الحاجة أن أكتب هذا البحث، فإن نقادنا القدامى لم يغفلوا عن الجانب النفسي للشاعر، وكذلك الجانب النفسي للمتلقي، وكان أكثرهم عناية بهذه الرؤية النفسية هو الإمام عبد القاهر الجرجاني، وهو من هو في البلاغة والنقد... فضلا عن براعته في النحو وغيره من العلوم العربية. وقد اعتمد الجرجاني بدرجة كبيرة على الناحية النفسية والعقلية والإدراكية عند شرحه للشواهد، ومن ثم شرحه للقاعدة البلاغية التي تنتظمه، وقد اتخذ الجرجاني من الحوار مع المتلقي أو القارئ سبيلا لتبسيط القاعدة، ومن السؤال وضرب الأمثلة منهجاً لبرهنة ما يريد من شرح في كتابه أسرار

البلاغة، ولهذا اختار من الشواهد الشعرية المتنوعة ما يساعده على تأطير المنهج الإدراكي لعلم البلاغة العربية، وتبيان تميزها المعرفي وعلو شأنها بين علوم اللغة العربية. ويبدو أنه شرع في ذلك منذ بدأ في تفنيد دلائل الإعجاز للقرآن الكريم، ومن ثم استيفاء الشرح والتوضيح لبلاغة القرآن الكريم، خدمة لكتاب الله وبيان إعجازه السامي.

والحقيقة؛ إنني في البداية شرعت في طرح الموضوع بشكل عام، وقد دار في ذهني البحث عن المنهج النفسي الإدراكي عند القدماء من نقاد الأدب العربي، لكنني وجدتُ الموضوع يتحول بي إلى مسار خاص هو تخصيص الدراسة عند الإمام الجرجاني منفرداً؛ فالإمام يعد مدرسةً بذاتها، وعَلَمًا بمفرده، وقطبًا في هذا المُرتقى التراثي. ويأخذك العجب من صبر الإمام الجرجاني عند الشرح، ويدهشك تفسيره، ومدى تذوقه للألفاظ، وفهمه للمعاني، وتبيانه للقواعد، واصطفائه للشواهد، واختياره للأمثلة؛ فهو الواعي غاية الوعي بما يقول وبما يسرد من مضامينَ وشروح، وهو المُتقن عند كتابة المتون واللطيف في عرض النصوص.

وقد أذهلني ما قرأت عند بعض الباحثين في موضوع النقد النفسي للأدب والبلاغة؛ فجلهم قد رفض وجود منهج نفسي عند نقادنا القدامى، بل بالغ بعضهم فنفى أن يكون النقاد العرب قديما قد انتبهوا إلى هذا اللون من النقد"؛ فيرى عبد العزيز الدسوقي أن الاتجاه النفسي لم تكن له سوابق جادة في النقد العربي، وأن انطلاقته كانت في صورة اتجاه ثم مدرسة"[١].

(١) نقلا عن كتاب النقد العربي الحديث مقاربة في نقد النقد، تأليف: عمر عيلان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١ -١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، الجزائر، ص ١٢٣.

ولكن القليل من الباحثين المحدثين قد انتبه إلي وجود هذا اللون النقدي عند القدماء أمثال عبد القاهر الجرجاني وابن قتيبة وغيرهم ممن عُنُوا بتفسير الأدب العربي، من خلال الناحية النفسية والفلسفية، ومن هؤلاء الباحثين: الباحث (زين الدين المختاري)؛ حيث تنبه لوجود المنهج النفسي عند نقادنا القدامى، فأومأ إليه لكنه لم يتناوله بالدراسة، وفي هذا يقول: "وقد ذهب بعض النقاد يمتح هذه البذور النفسية من كتب النقد العربي القديم، لبيان بعض ملامح النقد النفسي عند العرب القدامى، وكانت هذه الملامح واضحة عند ابن قتيبة في (الشعر والشعراء)، والقاضي الجرجاني في (الوساطة)، وعبد القاهر الجرجاني في (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)"(١). ولم يكتف بذلك؛ بل صرح بأنه لن يتطرق لهذا الموضوع، وعلل ذلك بأنه موضوع يحتاج لدراسة مستقلة. والحقيقة أنه كان محقاً في ذلك؛ فالنقد النفسي وبداياته وملامحه عند القدماء يحتاج لباحث مجتهد يشمر عن ساعد الجد، ويمضي في الكتابة والبحث عنه، وبالفعل وجدتُ دراسة أُجريت في جمهورية الجزائر،بعنوان: "تلقي المنهج النفسي في نقدنا العربي الحديث كتاب التفسير النفسي للأدب لعز الدين إسماعيل _أنموذجا_ ١٩٢٩هـ/ ٢٠٠٧م"، وهي رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي للباحثة: نوال قيطون، وتحت إشراف روفيا بوغنوط، للعام الجامعي١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م. وقد تحدثت الباحثة عن عبد القاهر ومنهجه النفسي في تناول البلاغة، تحت عنوان: (ملامح الاتجاه النفسي عند عبد القاهر الجرجاني). والحقيقة أنها لم تسرد تلك الملامح ؛ فتكاد وأنت تقرأ البحث تَعدُّ ما كتبته

(١) المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجاً)، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١-١٩٩٨م، ص١٨.

بالكلمة عداً؛ لشح ما دونته عن تلك الملامح. وكذلك فعل الباحث عبد الرحيم البار، جامعة محمد خيضر بسكرة/ الجزائر، في بحثه المعنون ب: (عبد القاهر الجرجاني: حياته ومؤلفاته ومنهجه اللغوي)، المنشور بمجلة "إشكالات"، مجلد ٦، العدد٣، السنة ٢٠١٧، الرقم التسلسلي ١٣؛ فلم يتطرق للأواصر النفسية للنقد والبلاغة عند عبد القاهر، وانصب اهتمامه بالتعريف بالإمام الجرجاني، والمنهج اللغوي الذي ظهر في مؤلفاته.

والحقيقة؛ إنني لم أجد دراسة متخصصة تتناول المنهج النفسي عند عبد القاهر، دراسة تركز على أهم ملامح هذا الاتجاه لديه، فاستخرت الله تعالى، وبدأت في جمع المادة العلمية من مؤلفاته بالأدلة والاقتباسات المختارة من مؤلفاته التي بين أيدينا، والتي تخص علم البلاغة بالتحديد، وهما كتاب (أسرار البلاغة)، وكتاب (دلائل الإعجاز)، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ويكفي أن تطالع كتاب عبد القاهر الجرجاني المسمى: "أسرار البلاغة" ليشتد عجبك من أسلوب الإمام الجرجاني، ومدى براعة تحليله النفسي والإدراكي للقاعدة البلاغية، ومنطقية الشواهد وسرد جزئياتها، وشرح ما تشتمله من صور وأخيلة ودقائق ولطائف، ثم ما يلبث إعجابك إلا أن يزداد، عندما تقرأ الكتاب جميعه؛ فترى الإمام عبد القاهر وهو يشرح القاعدة البلاغية وكأنها ظاهرة طبيعية ترتبط بالنفس البشرية وتتناسق، ويبين لك مواطن حسنها ومكونات عبقريتها، وقد يحكم على الشاهد الشعري أو البيت أو القصيدة بالسوء والرداءة، ويعلل لذلك وكأنه يأخذ من القارئ عذرا، ويقدم له دليلا على حكمه هذا.

ويعترف النقاد المحدثون بالدور الذي قام به عبد القاهر في النقد وتطويره؛ يقول د. أحمد أحمد بدوي: "وقد تطور النقد الأدبي عند العرب على يد عبد القاهر الجرجاني؛ فلم يعد جملا قصيرة وأحكاماً مبتسرة، ولكنه أصبح جولة يحولها الناقد في الآفاق التي هام فيها الشاعر، ثم يعود ليقص على الناس ما رأى وليكون المترجم بين الشاعر وبينهم"(١).

ولهذا سمى عبد القاهر كتابه "أسرار البلاغة"؛ فهو يطلب سر البلاغة، ويبحث عنه بين الآيات أحيانا وبين الأبيات أحياناً أخرى. والسر هو ما يخفى عن الظاهر، ولهذا فقد استخدم الإمام الجرجاني منهجا علميا يقوم على التحليل النفسي، وتمييز مواطن الإجادة ومواطن الضعف، إن وجدت، مع التعليل وذكر الأسباب والمسببات والعلل والخفيات من المعاني والصور.

وهو في تناوله لموضوعات كتابه، يستخدم أسلوباً عقلانياً حكيماً، يشبه إلى حد بعيد منهج مدرسة الجشطلت؛ حيث يعتمد الإمام في شرحه البلاغي على تبيان كيفية حدوث الفهم وطريقة الإدراك العقلي للمعنى، ولذا فهو يربط بين القاعدة البلاغية وكيفية فهم العقل لهذه القاعدة، ولا يكتفي بذلك؛ بل يشرح المعنى وخصوصيته وجمالياته في الأمثلة والشواهد، مع الحكم والبرهنة والتعليل، فلا يترك القارئ إلا وقد ألم بالحالة التي يعرضها، فيستوفي جميع جوانبها وجزئياتها.

(١) أسس النقد عند العرب، تأليف د. أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١- ١٩٩٦م، ص٧٩.

ومن يأخذ في قراءة الكتاب يجد نفسه أمام ناقد من نقادنا القدامى الذين استطاعوا عبور الزمان وسطروا لأنفسهم مجداً علمياً يحسب لهم في ميزان الحضارة العربية والإسلامية.

لقد اعتمد الإمام الجرجاني على [النقد النفسي الإدراكي] في شرح وبيان القواعد البلاغية، ولهذا يندرج نقده للنصوص ضمن النقد المركب؛ حيث يتضمن نقده مرتكزين اثنين هما الوصول لمدركات العقل ومن ثم الوصول لمدخلات النفس البشرية بكل تعقيداتها ومشاعرها، ويبدي ما تفضله وما تستوحش منه، أما المرتكز الثاني فهو الحوار والشرح والتحليل والإفهام.

المبحث الأول

سمات المقاربة السيكولوجية للنقد والبلاغة عند عبد القاهر:

تشمل هذه المقاربة بعض الموضوعات التي يتفق فيها عبد القاهر مع نظريات علم النفس الحديث، ونجد ها عند الإمام الجرجاني على عدة محاور عند نقده للشعر، وعند شرحه للقاعدة البلاغية؛ منها:

١- الإدراك العقلي والفهم والاستيعاب:

يقوم منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرض المسائل البلاغية وتبيان مواطن الفصاحة، والتميز فيها بتقديم المعلومة لعقل المتلقي بصورة ميسرة، ومن ثم تقريبها لإدراك القارئ، مهما كانت ثقافته أو مستواه العلمي؛ فهو يشرح القاعدة بطريقة سهلة المأخذ واضحة الجزئيات، ويفصل القول في الشاهد ويشرحه بشكل مجمل للمعنى العام، ثم بشكل مفصل حتى يستوفي كل معانيه وصوره وقواعده ودلالاته، وهو في كتابيه يؤكد على قيمة العقل والإدراك، وأن الإدراك العقلي هو السبيل لمعرفة أسرار البلاغة والفصاحة؛ يقول عبد القاهر عند حديثه عن درس الجناس، أو كما يسميه التجنيس: "أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذ كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً، أتراكَ استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله: ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون: أمَذهب أم مُذهب"(١).

(١) أسرار البلاغة، تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد القاضي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٣-١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٠.

فالإمام الجرجاني يركز على الإدراك العقلي لمواطن البلاغة واستشعار العقل لجزئياتها، ثم يدلل على ذلك بعدة شواهد بدأها بشاهد لأبي تمام وغيره، ثم يحكم على الشاعر بعدم الإجادة في البيت السالف الذكر، وخروج الشاعر عن البلاغة، ثم يفصل هذا الحكم بالأدلة التي يحتكم فيها لعقل القارئ، ولهذا يسأل القارئ وكأنه يتحاور معه بهدوء: [أتراكَ استضعفت تجنيس أبي تمام؟]، وهذا هو منهجه المتبع في سائر الكتاب.

ثم إنه يقرر في صراحة تامة ما يستند إليه من منهج عقلي يعتمد على الفهم والإدراك، ونراه عند نقده للأدب يقول: "واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته أن أتواصل إلى بيان أمر المعاني؛ كيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفضل أجناسها وأنواعها، وأتتبع خاصها ومشاعها، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل، وتمكنها في نصابه، وقرب رحمها منه، أو بعدها حين تنسب عنه، وكونها كالحليف الجاري مجرى النسب أو الزنيم الملصق بالقوم لا يقبلونه ولا يمتعضون له ولا يذبون دونه"(١).

فاهتمامه بالعقل أمرٌ واضح في منهجه، وقد صرح به في أكثر من موضع، في أثناء شرحه، ولعله رسم منهجه في دقة ووضوح، وهو يؤكد عليه في أكثر من موضع في مؤلفاته: أنه يميل إلى اختيار النقد المعرفي الإدراكي والنفسي ليكون منهجا ينتهجه في نقد النصوص، وسبيلا يرتسمه عند التقعيد للبلاغة، ولهذا تراه يتدرج في التبسيط للقاعدة، ويشرحها بسلاسة وطلاقة، ويطابق ما بين القاعدة والشاهد عليها؛ يقول عبد القاهر

(١) أسرار البلاغة، الإمام الجرجاني، ص٢٤.

في كتابه (دلائل الإعجاز): "قد بان الآن واتضح لمن نظر نظر المتثبت الحصيف، الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل، ومن شأنه التوق إلي أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلي دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر"(١).

فالإمام الجرجاني يعتمد على الإدراك العقلي، ليكون هو حلقة الوصل بين مختلفي الأطراف في عمليه التواصل الأدبي، ويعتد بالعقل لأنه المهيمن على التواصل بين الكاتب والمتلقي والناقد؛ فبالعقل يدرك الإنسان المفاهيم والمعارف والأحاسيس، ثم يأتي دور القلب والوجدان، ومن ثم يتأثر الإنسان فيتفاعل أو لا يتفاعل؛ يقول الإمام: "واعلم أن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرفها، وههنا تخلص لطيفة روحانية، فلا يبصرها إلا ذَوُو الأذهان الصافية، والعقول النافذة، والطباع السليمة، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة، وتعرف فصل الخطاب، ولها ههنا أساليب كثيرة، ومسالك دقيقة مختلفة"(٢).

هذا المنهج [العقلي المعرفي الإدراكي] هو ما يعتمده علم النفس الحديث كأهم عناصر الدراسات النفسية الحديثة، ويكاد يجمع علماء النفس على أهمية العقل في عملية الإدراك والتحصيل المعرفي؛ فنجد: "(جيمس) يقرر أن علم النفس هو علم الحياة العقلية، سواء في ظواهرها وفي شروطها؛ فالظواهر هي كالأشياء التي نسميها إحساسات ورغبات ومعارف

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٧١.
(٢) أسرار البلاغة، ص ٥٢/٥١.

وتفكيرات وإرادات وما شابهها، وفي سنة ١٨٩٢ قال (فونت) إن علم النفس إنما يكشف عما نسميه تجربة داخلية، أعني إحساسنا وشعورنا وتفكيرنا وإرادتنا، في مقابل أشياء التجربة الخارجية"[١].

ولعل اهتمام علم النفس الحديث بالعقل؛ لأن العقل في نظرهم: هو ما يحول المحسوسات إلى أحاسيس؛ فمثلا عند رؤية منظر باكٍ يتحول الإحساس بحاسة البصر إلى إشارات يدركها العقل ويبدأ بالتفاعل معها، وينعكس إدراك العقل إحساساً بالحزن حد البكاء. وكان لاهتمام علماء النفس بالعقل وإدراكاته ومدى استجابته للمثيرات أن وضعوا له أنماطاً متعددة من الاختبارات القياسية، التي يهتم بها علم النفس الإكلينيكي، ويشرف عليها. وتعد " النواحي العقلية المعرفية هي دراسة ميدان علم النفس، وهي أهم نواحي مكونات الشخصية؛ لأنها تتناول ما وراء السلوك من عمليات عقلية، وقدرات معرفية يتوقف عليها كسب المعرفة والخبرة، وتشمل العمليات العقلية كل ما يتصل بالإحساس والإدراك والتصور والتخيل والقدرة على التذكر والتفكير والتعلم؛ أي جميع العمليات العقلية التي يقوم بها العقل في تكوين الخبرات المعرفية. أما القدرات العقلية فهي المواهب والاستعدادات، التي يزود بها الفرد وتساعده على اكتساب الخبرة، وهذه القدرات على نوعين: قدرات موروثة، وقدرات مكتسبة. والقدرات الموروثة هي تلك القدرات التي ولد الشخص بها ولا تتغير كثيراً مدى الحياة، وتعتبر من الصفات الثابتة نسبياً في الشخصية، وهي نوعان؛ هما: القدرة العقلية

(١) مذاهب علم النفس، د. علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط٥ – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٩٣.

المعرفية العامة أو الذكاء، والقدرات الخاصة. أما القدرات المكتسبة فتشمل الثقافة العامة عند الشخص، وكذلك الثقافات أو الميول الخاصة"(١).

علينا الآن أن نعرج على ماهية الإدراك العقلي؛ فما هو الإدراك ؟ وما تعريفه بحسب ما يراه علماء النفس: "الإدراك هو بديل للفعل؛ إنه فعل عقلي، فعل كامن، دماغي، بديل لفعل فيزيائي واقعي محيطي، وهو فعل يمكن أن يجد امتداده، مؤجلا بدرجة أو بأخرى، في فعل واقعي"(٢).

يقوم علم النفس الحديث والمعاصر باعتبار الجانب الإدراكي المعرفي من أهم مكونات الجوانب السلوكية للإنسان؛ "فالجانب الإدراكي المعرفي Perceptual &Cognitional هذا الجانب من السلوك يختص بإدراك المظاهر والأحداث المختلفة التي تدور حول الفرد، والتي يحدث فيها تفاعل برموز ومعان معينة، والتي تشتمل العمليات العقلية كالإدراك والتمييز والتفكير والتصور والتخيل والتعبير اللغوي، وغير ذلك من الجوانب المعرفية والعقلية في سلوك الإنسان"(٣).

إن للإدراك العقلي أهمية بالغة في تمييز الإنسان عن بقية الكائنات الحية العاقلة في الكون؛ فالعصافير لها عقل ولها إدراك، وكذلك الحيوانات

---

(١) التحليل النفسي، إعداد/ كامل محمد محمد عويضة، مراجعة أ.د. محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١- ١٤١٦هـ /١٩٩٦م، ص٢٢.

(٢) علم نفس الجشطلت، تأليف: بول جييوم، ترجمة: د. صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق، مراجعة د. يوسف مراد، مؤسسة سجل العرب للنشر، دار الحمامي للطباعة، الإدارة العامة للثقافة، ط١-١٩٦٣ م، ص٢٩٦.

(٣) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، تأليف د. عبد المجيد سيد أحمد ود. زكريا أحمد الشربيني ود. إسماعيل محمد الفقي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١-٢٠٠٢م، ص٢٩.

المختلفة، أعزكم الله، لها عقل وتتمتع بالإدراك، بدليل أنها تستشعر الخطر، وتقدر حجم التحدي الذي تواجهه، لكنها تختلف في سرعة هذا الإدراك ومدى الاستجابة له، والذكاء في التعامل مع أفراد جنسها، وكيفية التكيف مع الحياة المفتوحة، والمخاطر الحاصلة لها في الغابة.

٢- **الاتجاه النفسي العام [الذوق المشترك بين الناس]**:

اعتمد الإمام الجرجاني على مبدأ نفسي يعرفه علماء النفس، وهو ما ركبه الله تعالى في النفوس البشرية من أمور مشتركة، يتفق فيها جميع البشر، وهم مشتركون في عدة أمور، مهما اختلفت الأجناس والأعراق والأحساب والأنساب؛ فالجميع يجوع ويعطش، ويخاف ويحب ويحزن ويُسر ....

ومن خلال الدراسات النفسية وجد العلماء أن الجماعة البشرية في مجتمع ما تميل لبعض الأمور وتتفق عليها، وهذه الأمور قد لا تكون مناسبة لجماعة بشرية أخرى، وهذا ما يعزو إليه تغيّر نمط الحياة من مجتمع لمجتمع، ومن شعب لشعب، وقد تنبه لهذه الظاهرة إمام البلاغة؛ فقال:

"واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع ولا يجد لديه قبولاً، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلاً، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام؛ فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى، وحتى إذا أعجبته عجب وإذا نبهته لموضع المزية انتبه"(١).

(١) دلائل الإعجاز، تأليف الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، ت٤٧١هـ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني مصر، ط٣-١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٢٩١.

فيشير عبد القاهر لملكة الذوق التي بها يستشعر الإنسان مواطن الحسن واللطف، وهذا الذوق ما يسبب الأريحية في النفس فتحصل به الدهشة والإعجاب والانتباه. والذوق من خصائص النفس لأنه تكوين فطري فيها، يركب مع الوجدان والمشاعر في الداخل التكويني النفسي، وهذا التكوين الذي يميل إلي تفضيل أنواع وطرح أنواع أخرى، يتحكم فيه العديد والعديد من العوامل والظروف، ويميل الذوق العام إلى تفضيل التشبيه المركب في مقابل التشبيه البسيط، والتشبيه المركب هو ما يُطلق عليه التشبيه التمثيلي [وهو من أنماط المثل]، ويكون التشبيه التمثيلي متعدد الجزئيات، ووجه الشبه فيه هيئة حاصلة أو صورة كاملة، ولأن الهيئة والصورة مما تميل لها النفس وتعد من لوازم تفضيلها، يقول الجرجاني: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، وبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلي صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً.[1]"

كما يقول: "فأول ذلك وأظهره أن أُنس النفوس موقوف على أن نخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه، إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم؛ نحو أن تنقلها عن العقل إلي الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلي ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأن العلم المستفاد من طرق الحواس، أو المركوز فيها

(١) أسرار البلاغة، ص٨٨.

من جهة الطبع، وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر، في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام"(١).

ينحو الإمام عبد القاهر في النص السابق نحو التعريف بالنفس، وكيفية العمل الإدراكي، وديناميكية الإحساس، وتفضيله للعلم المستفاد من طرق الحواس، وهو ما يؤكد عليه علم النفس الحديث، ويخصص الحواس بأنها أبواب للإدراك، وسيأتي الحديث عن الحواس بالتفصيل بعد قليل.

وكلمة الذوق يمكن تفسيرها عند عبد القاهر بالمشترك العام، وهو المفضل المستساغ بين الناس، وهذا ما أشار إليه د. أحمد أحمد بدوي بقوله: "أما عبد القاهر الجرجاني، فقد نظر إلى الذوق من ناحية أنه استعداد خاص، يهيئ صاحبه لتقدير الجمال، وفهم أسرار الحسن في الكلام، ويجعل هذا الاستعداد الخاص شرطاً أساسياً لتذوق الجمال في الأدب، وكأنه يرى الثقافة الأدبية من غير هذا الاستعداد لا تجدي شيئاً، ولا تهيئ صاحبها لشيء، ويكون مثل صاحبها مثل من يروي أرضاً لا بذر فيها، وعبد القاهر يرى هذا الاستعداد فطرياً، وأنه قليل في الناس"(٢).

ثم يقول: "ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا فضل العناية بالسجع، ولزموا سجية الطبع، أمكن في العقول وأبعد من القلق وأوضح للمراد وأفضل عند ذوي التحصيل وأسلم من التفاوت وأكسف عن الأغراض وأنصر للجهة التي تنحو نحو العقل... وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع إلى أن

(١) أسرار البلاغة، ص٩٢.

(٢) أسس النقد عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوي، ص٨٧.

ينسى أنه يتكلم ليُفهم ويقول ليبين ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء"[١]؛ فيشير عبد القاهر بتأثير الرأي العام وكلام المتقدمين والمتأخرين في توجيه وحمل صاحبه إلى الاهتمام بأمور يفضلها الذوق العام، وبخاصة عند استخدام البديع وأقسامه؛ مثل السجع والجناس وغيرهما من أبواب علم البديع.

يعتمد الأدب والنقد في العموم على الذوق العام للمجتمع وعاداته وتقاليده وما يفضله وما يرفضه، وهو ما يطلق عليه حديثاً بالسوسيولوجيا؛ "فالاتجاهات السوسيولوجية توضحت إذن خلال نصف القرن الأخير على شكل أفكار رئيسية بدلاً من مجموعة مناهج مترابطة، وقد التقت أحياناً والاتجاهات الشكلية كسوسيولوجيا الذوق مع Schticking دراسة اللغة باعتبارها عنصراً اجتماعياً في الأدب مع Wellek ولك"[٢].

ولهذا نجد التنوع والتمايز بين الآداب المختلفة؛ فالأدب الأمريكي يختلف كثيرا عن الأدب العربي، وكذلك الأدب الروسي يختلف عن الأدب الألماني، لكن لكل أدب منهم طابعه العام وسماته المميزة التي يمكن من خلالها أن نرسم صورة للذوق العام الذي ينتظمها في هذا البلد أو ذاك.

---

(١) أسرار البلاغة، بتصرف (باختصار وحذف(، ص١١

(٢) سوسيولوجيا الأدب، روبير إسكاربيت، تعريب آمال أنطوان عرموني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت – لبنان ط٣-١٩٩٩م، ص٢٦.

٣- البديهيات وسلامة القواعد اللغوية:

إن تناول الكاتب أو الأديب للأمور البديهية واستخدامه للمعاني المتعارف عليها والشائعة بين الناس،لأمر مألوف ومن تمام الفصاحة مراعاة قواعد اللغة وأن تكون اللغة سليمة نحواً وصرفاً وتركيباً، وزيادة على ذلك أن يكون النظم مقبولاً والكلم والأفكار مرتبة متسلسلة يَعْلَقُ بعضها ببعض، مما يدل على الصحة النفسية والمقدرة على الإبداع؛ يقول عبد القاهر: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يَعلَقَ بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك؛ هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"(١).

ويعلم الكاتب خطوات الكتابة وإنشاء الكلام؛ فيقول عبد القاهر: "وجملة الأمر أن الخبر وجميع معاني الكلام ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قبله ويراجع فيها عقله وتوصف بأنها مقاصد وأغراض وأعظمها شأناً الخبر؛ فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتقع فيه الصناعات العجيبة وفيه يكون المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة على ما شرحنا ثم إنا نظرنا في المعاني التي يصفها العقلاء بأنها معان مستنبطة ولطائف مستخرجة ويجعلون لها اختصاصاً بقائل دون قائل"(٢).

---

(١) دلائل الإعجاز، تأليف الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، ت٤٧١هـ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني مصر، ط٣-١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٥٥.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٥٤٣.

فعلي الإنسان إن أراد أن يُنشئ نصاً أدبياً فصيحاً وجيداً: ١- أن ينشئ المعاني في نفسه ٢- يصرفها في فكره ٣- يناجي بها قلبه ٤- يراجع فيها عقله، وهذه الخطوات المتتابعة كفيلة بأن تجعل الإنسان يبلغ الصحيح من معاني الكلام ولا يخرج عن قواعد اللغة أو البديهيات المعروفة بين الناس"، وفيه يكون المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة؛ "أي من خلالها يحكم على كاتب أنه أفضل من صاحبه في الفصاحة، وهو ما يوفَّق له الأديب من معانٍ وألفاظ تلقى القبول والاستحسان لدى كثير من الناس، وقد تنبه الإمام الجرجاني لمهارة الطبع فجعل من أهم علامات القبول للتجنيس أن يكون الكلام مطبوعاً غير متكلف، فجعله من مهارات الأدباء وإجادتهم البلاغية؛ يقول الإمام "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حولاً ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملاءمته وإن كان مطلوباً بهذه المنزلة"(١).

وتطلب المعنى واستدعاؤه للفظ هو ما نسميه بالطبع وانتفاء القصدية بالابتعاد عن التكلف والغلو، وهو ما يخلع على الكلام الحسن والمزية، ويزداد الكلام حسناً على حسن وجمالا على جمال إذا توفرت فيه الكفاية اللغوية"؛ الكفاية اللغوية (Competence): (و) هي القدرة الموجودة عند فرد من أفراد المجتمع وتتمثل في معرفة القواعد الصرفية والنحوية التي تؤلف الكلام، بالإضافة إلى قواعد تحويل الصيغ والجمل؛ حيث تمكنه هذه

(١) أسرار البلاغة، ص ١٢.

المعرفة من إنتاج وفهم الجمل الصحيحة في لغته، أما المفهوم الثاني فهو الأداء اللغوي (Performance) وهو التحقيق الفعلي للأقوال أو الجمل الصحيحة في المواقف والسياقات التي تحتاجها"(١).

وعلم النفس الحديث يتفق مع البلاغة والنقد العربي في مراعاة الأمور البديهية المتعارف عليها والمتفق على صحتها وسلامة تركيبها؛ لأن "رابطة البديهيات داخل جماعة تحددها رابطة وسائل التعبير وفي طليعتها اللغة وعلى الصعيد اللغوي فإن الكاتب لا يتمتع إلا بمفردات اللغة والنحو التي تستعملهم الجماعة لتعبر عن بديهياتها وفي الأكثر بإمكانه أن يعطي معنى أكثر صفاء لكلمات القبيلة ولكن هذه تظل كلمات القبيلة ولا يمكنها أن تخرج منها بلا تشويه؛ من هنا تأثير العقبات الكأداء في الترجمة والتفسير التاريخي المعكوس من عصر إلى عصر وسوء التفاهم بين فريق وآخر داخل بلد واحد"(٢).

يقول عبد القاهر في وضوح وجلاء: "وإذا كانت العلوم التي لها أصول معروفة، وقوانين مضبوطة قد اشترك الناس في العلم بها، وانفقوا على أن البناء عليها، إذا أخطأ فيها المخطئ ثم أُعجب برأيه، لم تستطع رده عن هواه وصرفه عن الرأي الذي رآه إلا بعد الجهد وإلا بعد أن يكون حصيفاً عاقلا ثبتاً إذا نُبه انتبه، وإذا قيل: إن عليك بقية من النظر وقف وأصغى"(٣).

(١) الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الثامن، مايو ٢٠٠٩م، ص٨٤.

(٢) سوسيولوجيا الأدب، ص ١٠٩.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٥٥٠.

إنه يمتدح الأديب الذي يلتزم بالأصول المعروفة [البديهيات] والقوانين المضبوطة المشتركة بين الناس ويؤوب بسرعة عن خطئه إذا أخطأ ويكون حصيفاً عاقلاً ثبتاً، و جميعها صفات يراها علماء النفس من علامات الصحة العقلية والإدراكية.

٤- أثر الحواس في عملية الإدراك

تعد الحواس الخمس من أساسيات الإدراك العقلي والوجداني؛ فالحواس الخمس هن مستقبلات العقل وآلة لمدخلاته في ذات الوقت؛ فالبصر والسمع والشم والتذوق واللمس مستقبلات للمعلومات المرئية والمسموعة والمشمومة والمذوقة والملموسة، وعبر هذه الحواس تدخل المعلومات إلى العقل فيبدأ بالتعامل معها في مدة زمنية وجيزة جدا؛ فمثلاً لو كنت تعبر الطريق السريع وفي أثناء عبورك سمعت صوتَ بوقِ لسيارة يضج خلفك، وقتها تعمل الأذن على استقبال الصوت وفي أقل من الثانية يبدأ العقل و يدرك الخطر المحدق به، ويترجمه العقل بإمكانية التصادم ووقوع حادث –لا سمح الله– وفي هذا الزمن القليل والمحدود جدا يبدأ العقل فيصدر القرارات بسرعة ويعالج هذا الموقف بعدة طرق وبمختلف الحلول كمحاولة من العقل للقيام بعملية إنقاذ سريعة، فيكون من الحلول: العبور السريع الخاطف للطريق أو رجوع القهقرَى لتفادي الصدام أو الانبطاح أرضاً حسب الحالة والموقف، وهذا التعامل الفوري من العقل تجاه الصوت المدرك بالسمع يكون من خلال المكتسبات والخبرات القديمة التي يعيها العقل ويخزنها في ذاكرته العميقة وهى التي يفزع لها عند الحاجة.

لا نحتاج لتبيان أهمية الحواس وبخاصة في المراحل الأولى للإنسان وأنها التي تشكل خبراته وتؤثر في ميوله وشخصيته، ومدى الكفاءة النفسية التي سينطلق منها الإنسان في مراحله المتعددة؛ [طفلا – شاباً– كهلاً]، وهذا ما يقرره علم النفس الحديث ، إن ما جاء به (هوبز) من سيكولوجية ضمَّنها بحثيه الأساسيين وكان جل اهتمامه موجهاً إلى تبيان أن القوى التعارفية للعقل : " إنما تعالج ما تتيحه الحواس من مادة محددة، أما الخيال فهو ما يتبقى من نشاط الحواس فيضمحل وبهذه الصورة عالج موضوع التصور؛ إذ اعتبر أوضح الصور و أقواها تلك التي تخطر في الأحلام والصور اللاحقة في حالة الإدراك الحسي البصري"(١).

تعمل الحواس على توسعة الطاقة الإبداعية لدى الأدباء والمبدعين، ولهذا فقد انتبه لأهميتها جُلّ الباحثين السيكولوجيين، وتلك الحواس وما تمدنا به من معلومات هي التي تساعدنا على معرفة الحياة والطبيعة والكون، وهي أيضاً التي ترسم صورة ما في وجداننا، وتتحكم في مشاعرنا؛ فالإنسان الحالم يستخدم الحواس بدرجة مضاعفة وبخاصة حاسة البصر، فيتجه إلى النظر ويستخدمه في تكوين الصور المتخيلة ويشكل من هذه الصور الحقيقية أحيانا والمتوهمة أحيانا عالمه الخاص، وينبري في توسيع هذا العالم من خلال الخيال وعالمه الساحر ولهذا فـ "إن علم النفس يدرس من النفس الإنسانية وما هو مشترك بين جميع الأفراد؛ فجميع الأفراد يصدق عليهم قانون (فيبر) الذي ينص على: أنه لابد لمنبه من المنبهات التي تقع

(١) علم النفس الغرضي – د. عبد العلي الجسماني– ط١– ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م–الدار العربية للعلوم – لبنان – بيروت– ص١٨– بتصرف

على الحواس من أن يبلغ درجة من الشدة معينة حتى ينعكس على صفحة الشعور إحساساً"[١].

ويعلمُ مَنْ يطالع كتابيْ عبد القاهر الجرجاني مدى إدراكه لأهمية الحواس؛ انظر لقوله: "وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة؛ كالميم من [عواصم] والباء من [قواضب] أنها هي التي مضت وقد أرادت أن تجيئك ثانية، وتعود إليك مؤكدة، حتى إذا تمكن في نفسك تمامها، ووعى سمعك آخرها، انصرفتَ عن ظنك الأول وزُلت عن الذي سبق من التخيل، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها "[٢]؛ فهو يشير إلي أهمية حاسة السمع في تحديد معاني الكلمات المتشابهات في اللغة العربية بين كلمة [عواصم - وعواصف] وكلمة [قواضب – وقواضم]؛ فمن خلال السمع يمكن تحديد المعنى المراد بالتحديد، وعدم الخطأ أو الخلط بين المعاني التي تختص بكل لفظة من تلك الألفاظ المتشابهة، ويقول الإمام: "ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاً من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروية؛ فهو إذن أمس بها رحماً، وأقوى لديها ذمما، وأقدم لها صحبة وآكد عندها حرمة، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض وبالفكر في القلب، إلي ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع وعلى حد الضرورة، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم؛ فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر، إذا وقع المعنى في نفسك غير

(١) علم النفس والأدب (معرفة الإنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان) د. سامي الدوربي- دار المعارف المصرية-منشورات جامعة علم النفس التكاملي- ط٢- بدون تاريخ- ص ١٠٥

(٢) أسرار البلاغة – ص١٧

ممثل، ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب ويقول ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت"(١).

فيقرر عبد القاهر بكل وضوح منذ القرن الخامس الهجري، ما قرره علماء النفس في العصر الحديث من دور الحواس في التعلم وإمداد النفس بالمعلومات والبيانات اللازمة، لاستمرار الحياة والحفاظ على النوع البشري من الفناء.

ويبدو أن عبد القاهر اعتنى بحاسة السمع؛ فنجده يقول: "وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس؛ فإنك تتبين من تفاصيل الصوت بأن يعاد عليك، حتى تسمعه مرة ثانية ما لم تتبينه بالسماع الأول وتدرك من تفاصيل طعم المذوق بأن تعيده إلى اللسان ما لم تعرفه في الذوقة الأولى وبإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين راء وراء وسامع وسامع وهكذا "(٢).

فعبد القاهر يميل إلي التروي في استخدام الحواس وتكرار استخدامها مرة بعد مرة لتحسين أدائها، فما لم تستطع معرفته في المحاولة الأولي فعليك بالمحاولة الثانية لتدرك التفاصيل، هذه التفاصيل بعد مدة تتحول في الدماغ إلى أفكار ثم إلي استجابات ومشاعر، وتعد الحواس مُشَكِّلاتٍ للأفكار ومُكوِّنات الخبرات، وهذا يجيب عن الأسئلة التي طرحها علماء النفس: "ما هو أصل أفكارنا؛ فهل هي في جانب منها موروثة وفي جانب آخر مكتسبة، أم هل هي في جملتها مكتسبة؟ وإذا كان الأمر على هذه الصورة؛ فهل الحواس هي المنافذ الوحيدة؟ وقد أجاب بعض الباحثين عن أسئلة من هذا

(١) أسرار البلاغة – ص٩٣
(٢) السابق – ص١٢٠

الضرب بكل بساطة؛ أجابوا بأن الحواس هي مصدر أفكارنا كافة، وأكد (لايبنتز) بأنه لا يوجد شيء في العقل ما لم يكن متضمناً أصلاً في الحاسة ذاتها؛ فليس العقل سوى العقل"[١].

ويرتبط الإدراك العقلي بالحواس الخمس كما سبق وأن أشرنا إلي ذلك، ولهذا "فالإدراك عملية نفسية ينظم بها بنو الإنسان ويفسرون الأدلة التي جمعتها لهم الحواس عن البيئة، ويعتقد كثيرون بأن الإدراك يتم تلقائياً ودون جهد أو تفكير متعمد، إلا أن التجارب أثبتت أن المدركات يستغرق تكونها وقتاً، وصحيح أنه في بعض الأحيان لا يزيد ذلك الوقت عن بضعة أجزاء من ألف من الثانية، ولكنه في أحيان أخرى يصل إلي عدة ثوان بالنسبة إلى شكل هندسي بسيط. أما الأمور الأكثر تعقيداً، التي تكون فيها الأحاسيس غامضة أو غير كاملة فإن المدركات تحتاج إلى وقت طويل حتى تكون جاهزة. والملفت للنظر بشأن الإدراك هو أن الناس، بعد أن ينظموا المعلومات التي يحصلون عليها عن طريق الحواس بالسرعة التي يستطيعونها، يستمرون في إعادة تفسيرها في ضوء أية معلومات جديدة تتوفر لهم، ويستمر الناس في إدراكهم للعالم كنظام ثابت مرتب "[٢].

وكأن الحواس مستقبلات للمعلومات المحيطة بالإنسان وهي الخطوة الأولى للمعرفة والعلم؛ ومن ثم يستتبعها خطوات عديدة ومعقدة في الدماغ حيث يعمل العقل على ترتيب هذه المعلومات المستفادة من الحواس وتنظيمها وأرشفتها والاستفادة منها في عمليات الاستجابة للمثيرات والتفكير والإحساس" ويرى (بيتر فارب) أن معظم الناس يميلون لتنظيم ما

(١) علم النفس الغرضي –ص ٢٠
(٢) التحليل النفسي لقوة الاستدلال – ص١١٥

يصل إلى أدمغتهم من مؤثرات بصرية في عدد محدود من طرق متشابهة، ولذلك فإن بعض الإدراك يعتمد إلى حد كبير على اختلاف المدركين في ميزاتهم الفردية، ومما يؤثر في الإدراك تأثيراً عاماً واضحاً أن الناس يرون ما يتوقعون رؤيته وهذه التوقعات مباشرة لخبراتهم السابقة ومستوى تعليمهم وحوافزهم"(١).

وهذا ما يؤكده علم النفس الحديث؛ حيث يؤكد علم النفس على عمل الحواس في توجيه الإدراك والفهم في عملية التعلم والخبرة والمعرفة بشكل عام: "فالإدراك هو الإحساس بالشيء وفهمه ويتم الإحساس عادة بإحدى الحواس المتوفرة للإنسان أما الفهم فيحدث بربط محتوى الإحساس أو موضوعه بما يمتلكه الفرد بدماغه من معلومات سابقة بخصوصه، فإذا كانت هذه الخلفية المعرفية كافية لاستيعاب الشيء بتمييزه وتبويبه أي كافية لفهمه عندئذ يتم للفرد ما نسميه الإدراك".

ولهذا كان للحواس وبخاصة السمع منها والبصر أهمية كبيرة في حياة الناس، ولهذا قال تعالى: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(٣٦)}(٢)

(١) التحليل النفسي لقوة الاستدلال (تخيل الأحداث قبل وقوعها) –تأليف /سميرة عبده–ط١– ١٩٩٤م –دمشق – دار علاء الدين–ص١١٦،١١٥

(٢) القرآن الكريم –سورة الإسراء –الآية ٣٦–ص٢٨٥

٥- الأنا المثالي والضمير والإدراك المعرفي (التوهم والمتوهم عند عبد القاهر):

أطلق عبد القاهر على الأفكار التي تدور بدواخل النفس أكثر من مسمى؛ منها "التوهم – الخاطر – في نفسك" واعتبره من الأمور الخفية في داخل الإنسان وهو الذي يستقر فيها الاعتقاد والأفكار الصحيحة الثابتة التي يقوم العقل باختبارها حتى يتم له التوثق من سلامة الاعتقاد فيها؛ يقول عبد القاهر: "فالذي يجب عليه الاعتماد في هذا الفن أن التوهم على ضربين، ضرب يستحكم حتى يبلغ أن يصير اعتقاداً، وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ولكنه شيء يجري في الخاطر، وأنت تعرف ذلك وتتصور وزنه إذا نظرت إلى الفرق بين الشيئين يشتبهان الشبه التام والشيئين يشبه أحدهما بالآخر على ضرب من التقريب فاعرفه"(١)؛ فهو يقسم التوهم إلى قسمين: قسم موثوق فيه فيصير اعتقادا، وقسم لا يبلغ درجة الوثوق فيه فيجري به الخاطر؛ أي لا يستقر في النفس وإنما تتخطاه بسرعة إلى غيره.

ويقترب الجرجاني من الوصول للمعنى الحقيقي للضمير بمفهومه النفسي وهو المفهوم الذي يدخل في موضوعات الأنا و الأنا الأعلى والهو، بمعنى أن الإنسان يُحَصِّل المعلومات والبيانات والمعارف من الحواس وهذه المعلومات تتحول إلى [أفكار وأحاسيس]؛ هذه الأفكار تتحول بعد التوثق منها إلي معتقدات وقيم وثوابت في داخلنا – داخل الضمير– وتظل مختفية في داخلنا حتى تخرج مرة أخرى إلى الوعي عن طريق البوح والتلفظ أو الاستجابات الفعلية المختلفة، وانظر لقول عبد القاهر: "وإذا توهم متوهم أنا نحتاج إلى أن نطلب اللفظ، وأن من شأن الطلب أن يكون هناك فإن الذي

(١) أسرار البلاغة –ص١٩

يُتوهم أنه يحتاج إلى طلبه هو ترتيب الألفاظ في النطق لا محالة، وإذا كان كذلك، فينبغي لنا أن نرجع إلي نفوسنا، فننظر: هل يُتصور أن نرتبَ معاني أسماء وأفعال وحروف في النفس، ثم يَخفى علينا مواقعها في النطق حتى نحتاج في ذلك إلي فكر وروية؟ وذلك ما لا يشك فيه عاقل إذا هو رجع إلي نفسه"(١).

وفي غير موضع من كتاب دلائل الإعجاز وكتاب أسرار البلاغة، نرى الإمام عبد القاهر الجرجاني يتحدث عن التوهم والخاطر وهو بذلك يشير إلى الأفكار الباطنية التي تستقر في النفس أو ما نسميه (الضمير)؛ يقول الجرجاني: "واعلم أن قولنا في الخبر إذا أُخر؛ نحو (ما زيد إلا قائم) أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يُتوهم كون زيد عليها، ونفيت ما عدا القيام عنه، فإنما نعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تُنافي القيام؛ نحو أن يكون جالساً أو مضطجعاً أو متكئاً أو ما شاكل ذلك"(٢).

ولعل أقرب مفاهيم علم النفس الحديث اتفاقاً وتناسباً مع مفهوم التوهم والخاطر عند عبد القاهر: هو مفهوم الأنا المثالي والضمير، والأنا تختلف عن الأنا المثالي فمن "الخصائص الرئيسية للأنا: يسيطر الأنا على الحركات الإدارية نتيجة للعلاقة السابقة التكوين بين الإدراك الحسي والفعل العضلي ، كما يقوم بمهمة حفظ الذات وهو يؤدي هذه المهمة بأن يتعلم معالجة المثيرات الخارجية ، فيدخر خبرات تتعلق بها (في الذاكرة) ويتفادى

(١) دلائل الإعجاز –٦٢

(٢) السابق – ٣٤٦

المثيرات المفرطة في القوة (بالهروب) ويستقبل المثيرات المعتدلة (بالتكيف) وهو يتعلم أخيراً تعديل العالم الخارجي تعديلاً يعود عليه بالنفع (النشاط)"[١].

أما الأنا المثالي فهو تفاعل الأنا ((ego مع الهو (id) ويبدو أن الهو تؤثر بشكل ما في محتويات ومكونات الأنا فتنتج الأنا المثالي "ويقوم الأنا عن طريق تكوين الأنا المثالي باستعادة جميع الآثار الباقية في (الهو) عن التطورات البيولوجية والتغيرات التي مر بها النوع الإنساني، ثم يمر بها مرة أخرى في حياة كل فرد، ويترتب على الطريقة التي يتكون بها الأنا المثالي أن تكون له علاقات كثيرة باستعدادات الفرد التي تكونت أثناء نشوء النوع أو بتراثه الفطري وهكذا نرى أن ذلك الجزء المتعلق بالأعماق البعيدة الغور لحياتنا العقلية قد تحول عن طريق تكوين الأنا المثالي إلى ما نعتبره أسمى ما في الإنسانية، وفقاً لمقياسنا للقيم"[٢].

وتقوم الأنا والأنا المثالي بكثير من العمليات الإدراكية والمعرفية، ويكون للعقل دور كبير في الإدراك، ويحدد هذا الإدراك مدى كفاءة المخ الإنساني في التحصيل والاستيعاب والفهم؛ يقول (هاريس): "وهناك استنتاج آخر نستطيع التوصل إليه بناء على هذه المكتشفات؛ ألا وهو أن المخ يعمل كمسجل عالي الدقة؛ يسجل على شرائطه صورة طبق الأصل من كل تجربة، ابتداءً من وقت الولادة وربما أيضاً قبل الولادة؛ (إن عملية اختزان المعلومات في المخ هي عملية كيميائية تتعلق باختزال وتسجيل المعلومات

(١) الموجز في التحليل النفسي تأليف: سيجموند فرويد -تقديم د. محمد عثمان نجاتي-ترجمة: سامي محمود علي وآخرون -مهرجان القراءة للجميع -هيئة الكتاب-٢٠٠٠م --ص٢٦

(٢) الأنا والهو- سيجموند فرويد-ترجمة د. محمد عثمان نجاتي -دار الشروق-ط-٤-١٩٨١م - ص٦٠

التي لا تكون مفهومة تماما). وربما كان هذا التشبيه مفرطاً في بساطته ورغم هذا فقد أثبتت مضاهاة الذاكرة بجهاز التسجيل فائدتها في عملية التذكر والنقطة المهمة هي أنه مهما كان أداء التسجيل فإن استعادته عالية الدقة[١] " [٢] " .

وإذا كانت النفس بمكوناتها (أنا – هو – أنا أعلى) توصف بأنها سر عظيم أخفاه الله تعالى عن البشر، فأخفى ماهية خلقها وكذلك مادة خلق الروح؛ قال تعالى: {ونفس وما سواها (٧) فألهمها فجورها وتقواها (٨)}[٣]، وقال تعالى: {يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨)}[٤]، وقال تعالى على لسان امرأة العزيز: {إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم(٥٣)} (٥)وغيرها من الآيات التي تصف النفس لكن لا تكشف سر كينونتها ومادة خلقها، والحديث في هذا الموضوع يطول، وليس هنا موضعه.

(١) التوافق النفسي.. تحليل المعاملات الإنسانية-تأليف د. توماس أ . هاريس – ترجمة / إبراهيم سلامة إبراهيم –الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٩٩٢-الألف كتاب الثاني-ص ٢٧

(٢) السابق ص ٢٧ .

(٣) القرآن الحكيم-سورة الشمس –الآية ٧و ٨

(٤) القرآن الحكيم –سورة الفجر –الآية ٢٧و ٢٨

(٥) القرآن الحكيم –سورة يوسف –الآية ٥٣

٦- الإقناع بالحوار والبراهين العقلية:

يعتمد عبد القاهر في شرحه للشواهد التي لا يستحسنها على الحوار العقلي مع المتلقي، وكأنه يتجاذب الحديث وأطرافه مع المتلقي ليقنعه برأيه وصواب رؤيته؛ يقول الجرجاني: "فخذ إليك الآن بيت الفرزدق الذي يضرب به المثل في تعسف اللفظ: [وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حيٌ أبوه يقاربه]؛ فانظر، أتتصور أن يكون ذمك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئاً من حروفه أو صادفت وحشياً غريباً، أو سوقياً ضعيفاً؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر، على موجب ترتيب المعاني في الفكر؛ فكدَّ وكدر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر، ثم أسرف في إبطال النظام وإبعاد المرام، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها بابا من الهندسة لفرط ما عادى بين أشكالها وشدة ما خالف بين أوضاعها"(١).

فطريقة العرض للموضوع عند الجرجاني هي طريقة المحاورة والإقناع وتفنيد المزاعم والرد عليها مباشرة دون تمويهٍ، ويعد هذا من أساليب الجرجاني الثابتة عند شرحه للشاهد الشعري؛ سواء أكان يستحسن هذا الشاهد أو لا يستحسنه، كما في بيت الفرزدق السالف الذكر.

ولا يقف الأمر بالإمام الجرجاني عند محاولة الإقناع بالحوار؛ بل يتعدى ذلك لاستخدام الجرجاني لمقويات الحجج، فما هي مقويات الحجج؟ إنها وسائل التفنيد وتعداد المميزات للأمر الذي يحتاج أن يقنع به المتلقي؛ يقول الإمام: "وجملة ما أردت أن أبينه لك: أنه لابد لكل كلام تستحسنه ولفظ

---

(١) أسرار البلاغة –ص ٢٠

تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل، وهو باب من العلم إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة ورأيت له أثراً في الدين عظيماً وفائدة جسيمة ووجدته سبباً إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل، وإنه ليؤمنك من أن تغالط في دعواك وتدافع عن مغزاك"(١).

وهو في كل الوسائل التي يتناولها ليقنع المتلقي بها؛ يحاول تزيينها له، وهذا الأمر يؤثر على عقلية المتلقي من خلال التأثير على وجدانه وعاطفته، وجلب تأييد المتلقي لما يريده الجرجاني من آراء وموضوعات.

والحوار والإقناع يستلزمان التمكن اللغوي والمنطقي والإلمام بفلسفة اللغة والحيل اللغوية، مع مراعاة خفة الظل والتمكن من المتلقي والاستحواذ على موافقته وتبعيته وقبوله، والنشاط اللغوي وفلسفة اللغة كما يراها هومبولت هي: "نشاط الروح المستمر، ولذلك فإن الكلمات: أفكر أتكلم أكتب عبارة عن مظاهر متباينة لماهية واحدة، والشاعر يخضع لحاجة عنيدة بغية الوصول بعملية التفكير والشعور التي يعانيها إلي نهايتها"(٢).

ولم يقتصر الأمر على استخدام الحوار والإقناع في موضوعات العلم والتعلم والإدراك ولكنه تخطاه في علم النفس الحديث ليكون وسيلة علاجية لكثير من الأمراض العقلية وأثبت فاعليته في تحسن الحالات وشفاء بعضها؛ فيعتمد: "تعديل السلوك في حالات الاضطرابات النفسية والعقلية يتم بسبب

(١) دلائل الإعجاز – ٤١

(٢) الأفكار والأسلوب دراسة في الفن الروائي ولغته –تأليف: أ.ف. تشيتشرين –ترجمة د. حياة شرارة– دار الشؤون الثقافية العامة–أفاق عربية–العراق–ط١–١٩٦٤م–ص٤٢

التغير في العوامل الفكرية وفي الأساليب الذهنية للشخص ويلاحظ أحد المعالجين المحدثين بأن كثيراً من المعالجين السلوكيين يستخدمون -بوعي أو دون وعي- أساليب لعلاج مرضاهم وتعديل معتقداتهم واتجاهاتهم جنباً إلي جنب مع مناهجهم السلوكية القائمة على عمليات التدعيم والتشريط"[١].

وللحوار والإقناع دور مهم في التأثير على نمط التفكير العقلي لأنه يغير النمط الإدراكي الخاطئ ويُعدل منه بما يتفق مع الصواب والحقيقة وما يوافق عليه الناس والمجتمع ويكون في صالح الذات الإنسانية.

٧- التأثير الوجداني للنفس (العرض المشوق للموضوعات):

لا يمكن لمن يقرأ كُتب عبد القاهر الجرجاني أن ينكر مدى التأثير الوجداني الذي يمارسه عبد القاهر على المتلقي عند عرضه للقاعدة وعند شرحه للشواهد؛ فهو يقوم ببراعة تامة بجلب التعاطف الوجداني من ناحية القارئ، وهذا التأثير الذي يمارسه على المتلقي يكون من خلال الحوار [العقلي المتزن والحكيم]، مشفوعاً بالأدلة والبراهين الفلسفية والمنطقية في كثير من الأحيان؛ فانظر إليه كيف يستجلب تعاطفك وموافقتك على بلاغة الاستعارة؛ يقول الإمام: "واعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول، وهي أَمَدُّ ميداناً وأشد افتتاناً وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً وأوسع سعة وأبعد غوراً وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم وأسحر سحراً وأملا

(١) العلاج النفسي الحديث (قوة الإنسان) تأليف د. عبد الستار إبراهيم -عالم المعرفة- رقم ٢٧- مارس ١٩٨٠-ص١٨٨

بكل ما يملأ صدراً ويمتع عقلاً ويؤنس نفساً ويوفر أنساً وأهدى إلي أن تهدي إليك عذارى قد تخير لها الجمال، وعني بها الكمال"(١).

لقد زين عبد القاهر درس الاستعارة حتى أدهشنا بها، فجعلها في صورة يستحسنها السامع – و إن كان يجهل ماهيتها – و يزداد بها – من يعرفها – اقتناعاً وتمسكاً، وتراه في موضع آخر يعمد إلى إقناع المتلقي بما ترسخ لديه من قناعات عامة لا يجهلها أحد من الناس؛ فبعد الراحة تعب ومن اختار أقل الكلفة اشتدت عليه الكلفة؛ يقول عبد القاهر: "يرضى بالجُمَلِ والظواهر ويرى أن لا يطيل سفر الخاطر، ولعمري إن ذلك أروح للنفس وأقل للشغل ،إلا أن من طلب الراحة: ما يَعقبُ تعباً، ومن اختيار ما تقل معه الكلفة: ما يُفضي إلى أشد الكلفة ،وذلك أن الأمور التي تلتقي عند الجُملة وتتباين لدى التفصيل... واعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر وما يسبق إليها الفكر :أن نبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز ونتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل ثم ننسق ذكر الاستعارة عليهما"(٢).

ويتحدث الإمام عن بعض خصائص النفس البشرية وما طبعت عليه وما تحب وما تكرهه، وهو يخبر القارئ بذلك لجلب ثقته، والفوز بموافقته؛ يقول الإمام: "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالميزة أولى؛ فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ؛ كما قال:

---

(١) أسرار البلاغة –ص٣٦

(٢) أسرار البلاغة–باختصار وحذف –ص ٢٦

وهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وأشباه ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة إليه وتقدم المطالبة من النفس به"(١).

و لم يكتف الإمام بتوضيح ما تميل إليه النفس؛ بل بدأ يبحث عن سر نفور النفس من الأمور المعقدة، يقول الإمام: "هذا والمعقد من الشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأن صاحبه يعثر فكرك في متصرف هو يشيك طريقك إلى المعنى ويوعر مذهبك نحوه، بل ربما قسم فكرك وشعب ظنك، حتى لا تدري من أين تتوصل وكيف تطلب، وأما الملخص فيفتح لفكرتك الطريق المستوي ويمهده، وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار وأوقد فيه الأنوار حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته؛ فقد قيل: قرة العين وسعة الصدر وروح القلب وطيب النفس من أربعة أمور: الاستبانة للحجة والأنس بالأحبة والثقة بالعدة والمعاينة للغاية "(٢).

فقد وازن الجرجاني بين صورتين لشخصين: أحدهما يُعقِّد في الشعر والكلام، ويُوعر مذهبك نحوه، والآخر يفتح لك الطريق ويضيء لك المنعطف فيه وييسر لك النجاح والوصول إليه، وهذه الموازنة بين الصورتين تجعل المتلقي وبدون تفكير يختار من يسهل له الطريق وينير له المنعطف منه، وهذا ما يريده الجرجاني في حجته وإقناعه؛ إنه يريد التأثير النفسي على المتلقي، ويزيد على هذا أن يختم بالحكمة الرائعة: طيب النفس من أربعة

(١) أسرار البلاغة –ص ١٠٥
(٢) أسرار البلاغة –ص١١١

أمور، ثم يعدد هذه الأمور الأربع كنوع من التشويق أو ما نسميه في البلاغة (إطناب الخاص بعد العام ، مع حسن التقسيم)

ويطرح الإمام وجهة نظره في قبول النفس للتشبيه، فيرى أن النفس تتقبل التشبيه إذا احتوى على أشياء تميل إليها النفس وتفضلها؛ مثل: الهيئات والحركات والألوان؛ يقول الإمام: "اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين: أحدهما؛ أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما، والثاني؛ أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها "(١).

ونجد أن عبد القاهر لم ينتبه لأثر الحركات والأشكال والألوان فقط بل انتبه لأثر السكون وهيئة الجسد الساكن أو النائم أو المضطجع؛ يقول الإمام: "واعلم أنه كما تعتبر هيئة الحركة في التشبيه فكذلك تعتبر هيئة السكون على الجملة ويحسب اختلافه نحو هيئة المضطجع وهيئة الجالس ونحو ذلك، فإذا وقع في شيء من هيئات الجسم في سكونه تركيب وتفصيل لطف التشبيه وحسن"(٢).

وبالطبع فقد انتهى الجرجاني إلى أكثر المؤثراتِ النفسية فاعليةً واستجابةً من المتلقي وكيف لا وهو إمام البلاغة، وشارح علومها؟ ولا تجد فارقاً بين ما يقوله الجرجاني وما يقرره علم النفس الحديث عن الوجدان والمؤثرات الانفعالية؛ فيرى د. عبد المجيد سيد أحمد أن: "الجانب الانفعالي الوجداني Emotional &Sentimental هذا الجانب يمثل الحالة الانفعالية

(١) أسرار البلاغة –ص١٣٥
(٢) أسرار البلاغة –ص ١٣٩

المصاحبة للسلوك؛ كالميل إلى موضوع معين والإقبال عليه وفي هذا ما يمثل منشطات ومحركات للسلوك وهذا الجانب أيضاً يتضمن الشعور بالارتياح أو عدم ارتياح تجاه موضوع معين مما يؤثر في تثبيت Affective fixation (تثبيت انفعالي) أو تدعيم السلوك Reinforcement أو انطفاء Inhibition (كف) الاستجابة الخاصة بهذا السلوك"[١].

وقد بينتُ سالفاً إيماء عبد القاهر الجرجاني إلى توظيف الأشياء التي تميل لها النفس في تبيان معاني الأشعار مركز الدراسة وموضع الشاهد للقاعدة البلاغية، كذلك استخدامه العناصر التي تميل النفس لها كميلها للحركات والهيئات والصور والألوان، عند حديثه عن التشبيه باعتباره درساً بلاغياً يندرج ضمن دروس علم البيان، مما يؤكد على استخدام عبد القاهر لمركبات النفس الفطرية، ومستثارها ومفضلاتها في خدمة الدرس النقدي والبلاغي.

٨- الشرح [بالإجمال والتفصيل] للقاعدة البلاغية

نهج عبد القاهر نهجاً واضحا في كتابيه، حيث استخدم كلا من التفصيل في القول والشرح والإجمال أثناء العرض والتحليل للشواهد الشعرية، وأشار إلى ذلك في مواضع كثيرة من مواضع الكتاب؛ مبيناً وظيفة الإجمال ووظيفة التفصيل عند عرض المسائل وشرح القواعد وتفسير الأحكام النقدية، وهو ما زاد به اليقين في سَعة عبقريته واكتمال ذكائه وواسع علمه وجميل أسلوبه، فلكل مقام مقال ولكل جزئية ما يناسبها من أسلوب وما يتشكل معها من أدوات.

---

(١) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر-ص٢٩

وفي غالب شروحه يبدأ بالتعريف للدرس البلاغي ثم يجمل الكلام عنه وعرضه عرضاً عاماً ، ثم يبدأ في التفصيل وشرح الجزئيات عند كلامه عن الأبيات الشعرية : وهي الشواهد المجتلبة لتوضح القاعدة البلاغية، وانظر له وهو يتناول التشبيه وبخاصة تشبيه التمثيل، أو انظر له وهو يتناول درس الاستعارة ويستوفيه إجمالا وتفصيلا، و تعد الاستعارة من الموضوعات المركبة في البلاغة العربية، ولهذا تحتاج الاستعارة عند تدريسها للطلاب لعدة أمور منها التبسيط وشرح الصورة وبيان أجزاء الاستعارة وكيفية الربط بين المستعار له والمستعار منه، وقد اجتهد عبد القاهر – رحمه الله – في شرح الاستعارة وكيفية إنشائها ومناط إبداعها وشرح جزئياتها بدقة وبلطف، ثم لم يكتف بذلك بل استشهد ببعض الشواهد الجيدة وبعض الشواهد الضعيفة ،وبيَّن جمال الجيد وشرح أسبابه المنطقية، ثم ذكر الشواهد الضعيفة وبيّن فيها مواضع الضعف و أسبابه، ثم أشفعها بالأدلة والبراهين العقلية، وعلل للقارئ حُكم ما يسوقه من شواهد، وهو في هذا الشرح يأخذ القاعدة منذ البداية وكأنه المعلم الحريص على أداء العلم بكل موضوعاته وجزئياته؛ يقول الجرجاني: " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية، ثم إنها تنقسم أولاً قسمين: أحدهما؛ أن لا يكون لنقله فائدة، والثاني أن يكون له فائدة، وأنا أبدأ بذكر غير المفيد؛ فإنه قصير الباع، قليل الاتساع، ثم أتكلم على المفيد الذي هو المقصود . وموضع هذا الذي لا يفيد نقله ،حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة والتنوق في مراعاة

دقائق في الفروق في المعاني المداول عليها كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوانات ،نحو وضع الشفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفلة للفرس وما شاكل ذلك من فروق ربما وجدت في غير لغة العرب وربما لم توجد فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله وجاز به موضعه كقول العجاج : [وفاحما ومرسناً مسرجا] يعني أنفاً برق كالسراج :والمرسن في الأصل للحيوان لأنه الموضع الذي يقع عليه الرسن "(١).

فهو يوضح للقارئ ما يخفى عليه من حقيقة الاستعارة وأقسامها فيهرع إلي التفصيل في الشرح بعد الإجمال في تعريفه لها ، ويستشهد بما في اللغة من معانٍ وما في الشعر من أقول تؤيد ما يريد من مفاهيم ؛ فيبدأ بمفهوم الاستعارة ثم يستطرد ليشرح أقسامها بوضوح تام، يقول عبد القاهر: "اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل؛ فنحن وإن كنا لا يُشكل علينا الفرق بين التشبيه الغريب وغير الغريب إذا سمعنا بهما فإن لوضع القوانين وبيان التقسيم في كل شيء وتهيئة العبارة في الفروق فائدة لا ينكرها المميز ولا يخفى أن ذلك أتم للغرض وأشفى للنفس"(٢)؛ فهو يعلن في وضوح تام أن المعرفة بالجملة (الإجمال) غير المعرفة بالتفصيل، فلكل منهما ما يناسبه من أسلوب أو عرض للموضوع ، وثم التبليغ والإفهام والتحصيل المعرفي لدى المتلقي.

ويرى عبد القاهر أن النفس ترى الأشياء المجملة أولا ثم تنتبه للتفاصيل: "واعلم أنك لا تشفي العِلة ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز

(١) أسرار البلاغة –ص ٢٧، ٢٨
(٢) أسرار البلاغة –ص ١١٨

حد العلم بالشيء مجملا، إلي العلم به مفصلاً، وحتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه، والتغلغل في مكامنه، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه"(١).

وهذا عند شرحه لدرس التشبيه؛ يقول عبد القاهر: "فإحدى العبرتين أنا نعلم أن الجملة أبداً أسبق إلي النفوس من التفصيل، وأنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلي التفصيل ولكنك ترى بالنظر الأول والوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر ولذلك قالوا النظرة الأولى حمقاء وقالوا: لم ينعم النظر ولم يستقص التأمل"(٢).

وبعد توضيحه لفعل الحواس في إدراك التفاصيل يثبت بعض الحقائق من وجهة نظره فيقول: "فأما الجمل فتستوي فيها الأقدام، ثم تعلم أنك في إدراك تفصيل ما تراه وتسمعه أو تذوقه كمن ينتقي الشيء من بين جملة، وكمن يميز الشيء مما قد اختلط به؛ فإنك حين لا يهمك التفصيل كمن يأخذ الشيء جزافاً وجرفاً، وإذا كانت هذه العبرة ثابتة في المشاهدة وما يجري مجراها مما تناله الحاسة فالأمر في القلب كذلك؛ تجد الجمل أبداً هي التي تسبق إلي الأوهام وتقع في الخاطر أولاً وتجد التفاصيل مغمورة فيما بينها وتراها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة بالتذكر(٣)، ويتفاوت الحال في الحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد

(١) دلائل الإعجاز – ص٢٦٠

(٢) أسرار البلاغة –ص ١٢٠

(٣) الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم (دراسة فيسيولوجية لماهياتها ووظائفها وعلاقاتها–د. محمد زياد حمدان– دار التربية الحديثة –ط١–١٤٠٦هـ/١٩٨٦م– مصر– ص٣٦

التفصيل، وكلما أوغل في التفصيل كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر والفقر إلى التأمل والتمهل أشد"(١).

ولعل عبد القاهر وجد أن السر في البلاغة هو معرفة التفاصيل ولهذا أكد عليها وبيَّن فيها القول وأطال فيها الحديث، يقول عبد القاهر: "واعلم أن قولنا (التفصيل) عبارة جامعة ومحصولها على الجملة أن معك وصفين أو أوصافاً فأنت تنظر فيها واحداً واحداً وتفصل بالتأمل بعضها من بعض وقد أرتك في الجملة حاجة إلى أن تنظر في أكثر من شيء واحد وأن تنظر في الشيء الواحد إلى أكثر من جهة واحدة"(٢).

انظر لقوله: "ولم يلطف إلا لكثرة ما فيه من التفصيل"(٣). أين ذلك القول؟

ولعل أكثر المدارس النفسية التفاتاً لموضوع الإجمال (والمقصود به الكلية) والتفاصيل (والمقصود بها الجزئية) هي المدرسة الألمانية؛ مدرسة [الجشطلت] وتقوم مدرسة الجشطلت على عدة مبادئ أهمها مبدأ الكلية ومبدأ الإدراك والمعرفة؛ "فنظرية الجشطلت ترتبط بحركة عامة تمخضت في نفس الوقت عن نظريات عديدة في الوحدة الكلية Ganzheit، وشبيه بها مدرسة ليبزج (كروجرKrtuger وفولكلت Volkelt)؛ فهي ترفض فكرة

(١) أسرار البلاغة– ص١٢١
(٢) أسرار البلاغة – ص١٢٤
(٣) أسرار البلاغة – ص١٤٠

العناصر وفكرة المركب وتقرر مبدأ أسبقية الكل للأجزاء التي تنتج عن تفكك الكل بالتحليل"[١].

لأن العلماء في مدرسة الجشطلت اهتموا بالشكل الكلي حفاظاً على وحدة البنية وتماسك النص واعتبروا الجزء من أسباب الهدم لفكرة النص العامة، و: "اهتمت الجشتالتية في مجال الإدراك الحسي بدمج بنيات الشكل مع تأويل العالم المادي والتفسيرات الذهنية من خلال مراعاتها للعلاقة المتبادلة بين الكل والجزء مع إعطائها أولوية لإدراك الكل وأهمية العلاقة بين أجزاء البنية والشكل المتضمن لهذه الأجزاء "[٢].

وهذا الجدل بين الكل والجزء أو بين الإجمال والتفصيل، أدى إلى ظهور مدارس كثيرة في النقد العربي تقوم على فكرة الكل (الإجمال) كالبنيوية المنغلقة على الكل، أو المدارس التي تقوم في فكرها النقدي على الجزئية أو التفصيل مثل المدرسة التفكيكية.

---

(١) علم نفس الجشطلت- تأليف: بول جييوم -ترجمة: د. صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق-مراجعة د. يوسف مراد-مؤسسة سجل العرب للنشر-دار الحمامي للطباعة- الإدارة العامة للثقافة -ط١-١٩٦٣ م -ص ٣٠٤

(٢) إدراك الزمن اللغوي -د.صلال المقطري ود. حسين الزراعي-مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس -المجلد ٢١-٢٠١٥م--رقم md: ٧٦٧٤١٧- -ص٧٣

الخاتمة:

الحمد لله بقدر نعمه وآلائه ومِنحه وعطاياه ، والصلاة والسلام علـــى رسول الله : محمد بن عبد الله وعلى آله و صحبه من والاه

وبعد،

فمما يزيد من ثراء هذه الدراسة أنها تتناول المنجز المعرفي في القرن الخامس الهجري ، وتلقي الضوء على فترة زاهية من الحضـــارة العربيـــة والإسلامية، وتكشف مناط التميز عند عبد القاهر الجرجـــاني وتمنحـــه مـــا يستحق من التكريم ،ومن ثم تعترف له بأســـبقيته التعليميـــة وملاحظاتـــه النفسية ،وإثبات ما للعلماء العرب والمسلمين من فضل في مجال علم النفس السيكولوجي.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

مراجع ومصادر البحث

١. القرآن الكريم الطبعة المدنية
٢. التحليل النفسي لقوة الاستدلال (تخيل الأحداث قبل وقوعها) -تأليف / سميرة عبده-ط١-١٩٩٤م -دمشق - دار علاء الدين
٣. الأثر - مجلة الآداب واللغات -جامعة قاصدي مرباح -ورقلة -الجزائر -العدد الثامن -مايو ٢٠٠٩م
٤. الأدب وفنونه دراسة ونقد -د.عز الدين إسماعيل- ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م-دار الفكر العربي-مصر-ط٩
٥. إدراك الزمن اللغوي - د.صلال المقطري ود. حسين الزراعي-مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس -المجلد ٢١-٢٠١٥م--رقم md: ٧٦٧٤١٧-
٦. أسرار البلاغة -تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني -تحقيق محمد القاضي -المكتبة العصرية -بيروت- ط ٣-١٤٢١هـ/٢٠٠١م
٧. أسس النقد عند العرب-تأليف د. أحمد أحمد بدوي-نهضة مصر للطباعة والنشر-ط١-١٩٩٦م
٨. الأفكار والأسلوب دراسة في الفن الروائي ولغته -تأليف :أ.ف.تشيتشرين -ترجمة د.حياة شرارة-دار الشؤون الثقافية العامة-أفاق عربية-العراق-ط١-١٩٦٤م
٩. الأنا والهو- سيجموند فرويد-ترجمة د.محمد عثمان نجاتي -دار الشروق-ط-٤-١٩٨١م
١٠. تحليل النفسي -إعداد /كامل محمد محمد عويضة -مراجعة أ.د. محمد رجب البيومي-دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان -ط١- ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

١١. تحليل النفسي والأدب-تأليف: جان بيلمان نويل-ترجمة حسن المودن-المجلس الأعلى للثقافة-المشروع القومي للترجمة-ط١-١٩٩٧م
١٢. التفسير النفسي للأدب -د. عز الدين اسماعيل-مكتبة غريب -مصر-ط٤ بدون تاريخ
١٣. التوافق النفسي.. تحليل المعاملات الإنسانية-تأليف د. توماس أ. هاريس - ترجمة /إبراهيم سلامة إبراهيم -الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٩٩٢-الألف كتاب الثاني
١٤. دلائل الإعجاز-تأليف الإمام : أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي-ت٤٧١هـ-قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر -مطبعة المدني مصر- ط٣-١٤١٣هـ/١٩٩٢م
١٥. الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم (دراسة فيسيولوجية لماهياتها ووظائفها وعلاقاتها-د. محمد زياد حمدان-دار التربية الحديثة -ط١-١٤٠٦هـ/١٩٨٦م-مصر
١٦. دور اللاشعور ومعنى علم النفس للإنسان الحديث -كارل غوستاف يونغ-ترجمة :نهار خياطة-المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-ط١-١٤١٢هـ/١٩٩٢م
١٧. السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر-تأليف د. عبد المجيد سيد أحمد ود. زكريا أحمد الشربيني ود. إسماعيل محمد الفقي-مكتبة الأنجلو المصرية-٢٠٠٢م-ط١
١٨. سوسيولوجيا الأدب - روبير إسكاريت-تعريب آمال أنطوان عرموني - عويدات للنشر والطباعة - بيروت -لبنان ط٣-١٩٩٩م
١٩. العلاج النفسي الحديث(قوة الإنسان)-تأليف د. عبد الستار إبراهيم - عالم المعرفة- رقم ٢٧- مارس ١٩٨٠
٢٠. علم النفس الغرضي -د. عبد العلي الجسماني-ط١- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م-الدار العربية للعلوم -لبنان -بيروت

٢١. علم النفس والأدب إدراك (معرفة الإنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان) - د. سامي الدوربي-دار المعارف المصرية-منشورات جامعة علم النفس التكاملي-ط٢-بدون تاريخ
٢٢. علم نفس الجشطلت- تأليف: بول جييوم -ترجمة: د. صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق-مراجعة د. يوسف مراد-مؤسسة سجل العرب للنشر-دار الحمامي للطباعة- الإدارة العامة للثقافة -ط١-١٩٦٣ م
٢٣. كتاب النفس -لأرسطوطاليس-نقله إلى العربية د. أحمد فؤاد الأهواني-راجعه على اليونانية الأب جورج شحاته قنواتي-دار إحياء الكتب مطبعة البابي الحلبي وشركاه -ط١-١٩٤٩م
٢٤. المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد(نموذجاً) -زين الدين المختاري -منشورات اتحاد الكتاب العرب-ط١-١٩٩٨م
٢٥. مذاهب علم النفس- د. علي زيعور-دار الأندلس للطباعة والنشر-ط٥ -١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
٢٦. مناهج البحث في علم النفس (الإكلينيكي والإرشادي) -تأليف: كريس باركر، ونانسي بيسترانج، وروبرت إليوت- ترجمة د.محمد نجيب الصبوة ود. ميرفت أحمد شوقي، ود. عائشة السيد رشدي -مكتبة الأنجلو المصرية-ط١-١٩٩٩م
٢٧. الموجز في التحليل النفسي تأليف: سيجموند فرويد -تقديم د. محمد عثمان نجاتي- ترجمة: سامي محمود علي وآخرون -مهرجان القراءة للجميع -هيئة الكتاب-٢٠٠٠م
٢٨. النقد العربي الحديث مقاربة في نقد النقد -تأليف. عمر عيلان -الدار العربية للعلوم ناشرون-ط١ -١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م -الجزائر

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٥٩٣
٢-	Abstract	٣٥٩٤
٣-	- المقدمة	٣٥٩٥
٤-	- التمهيد	٣٥٩٧
٥-	- المبحث الأول: سمات المقاربة السيكولوجية للنقد والبلاغة عند عبد القاهر وفيه :	٣٦٠٩
٦-	١- الإدراك العقلي والفهم والاستيعاب	٣٦٠٩
٧-	٢- الاتجاه النفسي العام (الذوق المشترك بين الناس)	٣٦١٤
٨-	٣- البديهيات وسلامة القواعد اللغوية	٣٦١٨
٩-	٤- أثر الحواس في عملية الإدراك	٣٦٢١
١٠-	٥- الأنا المثالي والضمير والإدراك المعرفي (التوهم عند عبد القاهر)	٣٦٢٧
١١-	٦- الإقناع بالحوار والبراهين العقلية	٣٦٣١
١٢-	٧- التأثير الوجداني للنفس (العرض المشوق للموضوعات)	٣٦٣٣
١٣-	٨- الشرح [بالإجمال والتفصيل] للقاعدة البلاغية	٣٦٣٧
١٤-	الخاتمة	٣٦٤٣
١٥-	مراجع ومصادر البحث	٣٦٤٤
١٦-	فهرس الموضوعات	٣٦٤٧

تم بحمد الله